بسم الله الرحمن الرحيم

المستّوى: ماستّر1 الأستّادة: وافيّة مغزّي

السنّة الدراسيّة :2019-2020

# مشكّلة التّأخر التّاريخي في ظهور العلوم الإنسانيّة

تمهيد:

لم تظهر العلوم الإنسانيّة إلاّ في منّتصف القرن التّاسع عشر حسب بعض الدراسات البحثية الحديثة ومنهم دراسة الأستّاذة **"يمنى طريف الخولي"** ، غير أنّ المتّأمل في تاريخ العلوم يشهد أنّ الإنسان في الحضارات القديمة شغلته موضوعات ذات الصلة بالإنسان ومشاكله، كان سبق هذا التّاريخ بمراحل زمنيّة متّقّدمة . حتّى الحضارة اليونانيّة شغلت فلاسفتها مشكّلات من نفس النمط الإنسانّي برز بقوّة في عهدها الذّهبي (سقراط، أفلاطون وأرسطو) ، بإستثناء مرحلة الفلاسفة الطبيعيين ما قبل سقراط . وفي العصور الوسطى استّمر الإهتّمام بالإنسان ومشكلة علاقته بالإله دون سائر العلاقات الأخرى ضمن علم اللاّهوت (المسيحي) وعلم الكلام (الإسلامي) . رغم كل هذه الجهود البشرية لم يتّأتي للعلماء تأسيس علوم إنسانيّة لذلك يلّح علينا التّساؤل التّالي :

لماذا تأخرالظهور التّاريخي للعلوم الإنسانيّة ؟

بمعنى آخر ، ما هي العوائق الإبستّمولوجية التّي حالت دون الظهور المبكّر لهذه العلوم ؟

## أوّلا :العوائق الإبستّمولوجيّة للظاهرة الإنسانيّة:

### 1-مفهوم العائق الإبستّمولوجي:

هو مجموع الأفكار والتّصورات المسبقة أو الخاطئة أو التّي تم استّبعادها مع التّقدم الفكري العلمي، وهو مشكّلة الذات العارفة في علاقتها بموضوع المعرفة . قبلا لم يكن هناك ذكر لمصطلح العائق الإبستّمولوجي لأنّ دراسة العلوم كانت تدرج ضمن إطار نظرية المعرفة الكلاسيكيّة ، وفي العصر الحديث وبعد انفصال العلوم عن الفلسفة برز هذا المصطلح للوجود ليميّز المعرفة العلميّة عن المعرفة غير العلميّة ، فالتّطور الذي أحرزه العلم انبهر به علماء الإنسانيات للإحراز نفس التّطور لكن واجهتهم عوائق ابستّمولوجيّة تماما كتلك التّي واجهت علماء الطبيعيّات قبلهم ، فماهي هذه العوائق؟

### أ- العائق النّفسي عند غاستون باشلار:

مفهوم وضعه **"غاستون باشلار (1884-1962)"** في إطار المنهج الذي اقترحه لفهم تاريخ العلوم في حقيقته وواقعيته ضمن كتّابه( تشكيل الفكر العلمي) . وارتّكز مفهومه على البعد النّفسي لأنّ أهمّ ما يميّز تطوّر العلم هو التّجرّد من الذاتيّة والعائق الإبستّمولوجي يحول دون ذلك في حين التجرّد منه لا يجمّد تطوّره عندما يتّحلى العالِم بروح علميّة من أهمّ مميّزاتها : التّواضع ، التّسامح، وحبّ الحقيقة والشّجاعة الفكريّة والأخلاقيّة.

وضع **"غاستون باشلار"** الرّأي كعائق ابستّمولوجي يعيق دراسة الظاهرة الإنسانيّة دراسة علميّة ، لأنّه ينتمي إلى المعرفة العاميّة غير مؤسّسة تجريبيّا وعقليّا ، فالرّأي نتّاج هوى نفسي وليس نتّاج تحصيل علمي . من أجل ذلك يصنفه ضمن اللاّعلم ، فالعلم لكي يكون علما ينبغي أن يخالف الرّأي .

ولمّا كانت العلوم الإنسانيّة قائمة على الرّأي ، فإنها تعيق تطور المعرفة العلميّة كونها ليست علوما بالمنظور الباشلاري، فهي لم تؤسس بعد أو بحاجة إلى التّأسيس . هذا التّأسيس مشترط بمنطق العقلانيّة التّطبيقية الباشلارية وبمفهومها الخاص للعلم الذي هو مقاربة عن واقع .وعليه فالعلوم الفيزيائية حققت شرط العلمية فتطورت في القرن العشرين بعد أن تأسست في القرن السابع عشر. أما العلوم الإنسانية فمازالت بغير تأسيس . وهنا يحضرني موقف مغاير **"لغاستون"** وهو موقف "دلتاي" ، فماهو موقفه؟

**ب- العائق النّفسي عند "دلتاي"**

الذي يرى أنّ العلوم الإنسانيّة تــأّخرت في التّأسيس مقارنة بالعلوم الطبيعيّة، لأنّ المهتّمين بهذه العلوم واجهتهم مشكلتين أساسيتين هما: **" الأولى أنّ العلوم الإنسانيّة مازال يعوزها تصور واضح ومتفق عليه عن أهدافها ومناهجها المشتركة والعلاقات بينها ، إذا ما قورنت بما هو سائد في العلوم الطبيعيّة . والمشكّلة الثّانية هي أنّ العلوم الطبيعيّة تزداد منزلتها ومكانتها نموا واطرادا بحيث ترّسخ في الرّأي العام مثلا أعلى في المعرفة لا يتّلائم مع التّقدم في العلوم الإنسانيّة"**[1] ، وتعهد دلتاي على تأسيس العلوم الإنسانية على نحو يتّفق وطبيعتها الخاصة بعيدا عن طريقي التّجربيين المؤيدين للمنهج الإستّقرائي ، وعن المثاليين الرّافضين له ، فشق لنفسه طريقا خاصا بابتكاره لمنهج الفهم كبديل عن منهج التّفسير . ولكن هل هذا المنهج الجديد سارع في تقدم العلوم الإنسانيّة نحو العلميّة ؟ ، ماحدث هوماخلفته المشكلة الأولى من سجالات فكرية بين علماء الإنسانيات جعلتهم يغفلون عن خطوة التّأسيس .والأمر الآخر الإعتّقاد الجازم بتّفوق العلوم الطبيعية على العلوم الإنسانيّة الأمر الذي صعّب من امكانيّة حلّ المشكّلة الثّانية . والسؤال الذي يلّح علينا هنا : كيف كان تاريخ العلوم الطبيعية قبل أن تصبح نموذجا في العلميّة ؟ ، وهل يمكن من خلالها استّشراف مستّقبل علمي( للعلوم الإنسانيّة) ؟

---

[1] يمنى طريف الخولي: **مشكّلة العلوم الإنسانيّة ، تقنّينها وإمكانيّة حلّها** ،رؤيا للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، سنة 2011، ص58 .

**ج-العائق البسيكو-تكويني عند :جان بياجيه":**

يجيبنا **"جان بياجيه"** قائلا: **"إذا كانت الفيزياء التّجريبية قد تأخرت قرونا مقارنة بالرياضيات ، وليس للعلوم الإنسانية أن تندهش من بطىء تكوينها ، بل ينبغي أن تعتبر بنوع من الثقة وضعيتها الحالية بداية جد متواضعة مقارنة بالعمل الواجب انجازه والآمال المشروعة المعقودة عليها ."[1]** ، يبدو كلامه معقولا ومنسجما مع فلسفته للتّطور. ويحوي فلسفة استّشرافية تفاؤلية لمستّقبل العلوم الإنسانيّة ، غير أنّ هذه الثقة ليس بها غلو، فقد بيّن**"بياجيه"** االعوائق التّي تصطدم بها كالعالِم غير منعزل عن موضوع دراسته والذي يحمل غالبا موقف فلسفي وايديولوجي ، فانعدام الحدّ الفاصل بين الذات والموضوع يخلق **"صعوبات إضافية مقارنة بالعلوم الطبيعيّة "[2]** ، لهذا يجب بذل مجهودات أكثر والإتنظار كثيرا حتّى تتّمكن هذه العلوم من اّللحاق بقطار العلم السّريع .

**الإستّنتاج:**

نستّنتج ممّا تقدّم أنّ العلوم الإنسانيّة تأخرت في ظهورها التّاريخي مقارنة بالعلوم الطبيعية ، بسبب طبيعة الظاهرة الإنسانية وما أفرزته من عوائق ابستّمولوجيّة في أغلبها نفسيّة ولتّجاوز هذه العوائق قدّم لنا فلاسفة العلوم نماذج فلسفية لحل هذه المشكلة نذكر منهم :( العقلانية التطبيقية (غاستون باشلار))، (التّأويلية (دلتاي))،( الإبستمولوجية التكوينية (بياجيه))) ، هذه المشاريع ساهمت في فهم أكثر للظاهرات الإنسانيّة ولعلّ في المستّقبل القرّيب سنشهد انتّعاش البحث العلمي في مجال علوم الإنسان.وستغدو مشكّلة التّأخركمشكّلة تجاوزها الزّمن.

---

[1].جان بياجيه : **ابستّمولوجية علوم الإنسان،** غاليمار،ط؟، سنة 1970 ، ص،ص 45،48.

[2].المصدر نفسه ، ص،ص48،45 .